Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويرتضى ضياء الدين بن الأثير هذا النقد ، ويقول عن كلام الخفاجى إنه مرضى واقع فى موقعه ، وعقب بأن هذه اللفظة المعينة فى الشعر قد وردت فى القرآن الكريم ، فجاءت حسنة مرضية ، كما فى قوله تعالى « وإذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال » . وكذلك قوله تعالى « وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهبا ، وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصداً » ألا ترى أنها فى هاتين الآيتين غير مضافة إلى من تقبح إضافته إليه ، كما جاءت فى الشعر ؟ ولو قال الشاعر بدلا من « مقاعد العواد » « مقاعد الزيارة » أو ماجرى مجراه لذهب ذلك القبح ، وزالت تلك الهجنة ! ولهذا جاءت هذه اللفظة فى الآيتين على ماتراه من الحسن ، وجاءت على ماتراه من القبح فى قول الشريف الرضى ، لأنها صحبتها قرينة أوجبت قبحها ، ولو لم ترد هذه القرينة ، وهى إضافتها إلى العواد ، لما استقبحت . وقد ترد القرينة فتؤكد المعنى الحسن المقصود ، وتنفى المعنى القبيح الذى معه فى لفظه كما فى قوله تعالى « فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون » .

ألا ترى أن لفظة « التعزير » مشتركة تطلق على التعظيم والإكرام ، وعلى الضرب الذى هو دون الحد ، وذلك نوع من الهوان ؟ وهما معنيان متضادان ، فحيث وردت فى هذه الآية جاء معها قرائن من قبلها ومن بعدها ، فخصصت معناها بالحسن ، وميزته عن القبح . ولو وردت مهملة بغير قرينة ، وأريد بها المعنى الحسن لسبق إلى الوهم ما اشتملت عليه من المعنى القبيح ، مثال ذلك : لو قال القائل : لقيت فلاناً فعزرته ، لسبق إلى الفهم أنه ضربه وأهانه ! ولو قال : لقيت فلاناً فأكرمته وعزرته ، لزال ذلك اللبس .

فهذه الأمور كلها كما رأينا ترجع إلى دلالة اللفظ وأدائه لمعناه ، ولا شىء فيها للفظ بذاته ، أى من حيث هو حروف وأصوات . ومن الواضح بعد عرض ماسبق أنه لن تتحدد قيمة اللفظ أو قيمة معناه وحده إلا بمقدار مايوحى به من المعنى ، ويحدد هذه القيمة فيزيد فى استحسانها أو استهجانها عند المتلقى معرض سياقها الذى يتكشف بانضمام اللفظ إلى اللفظ ، أو بعبارة أدق انضمام مضمونات الألفاظ بعضها إلى بعض . وذلك هو الذى دعا الناقد العربى الكبير عبدالقاهر الجرجانى إلى الإصرار على « فكرة النظم » ورأيه فى أن الكلمة المفردة لاقيمة لها قبل دخولها فى التأليف ، وقبل أن تصير إلى